

أضواء البيان

@ 203 إِنْ زَرَّاهَا جَعَلْنَا مَاءً عَالِيًا رُضًا زَيْنَةً لِّهَآ لِيَنْبِلُوهُمُ
أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنْ زَرَّاهَا لَجَعَلْنَاهَا مَاءً عَالِيَةً مِّنْ جُرُزٍ .
قال الزمخشري في معنى هذه الآية الكريمة : (ما عليها) يعني ما على الأرض مما يصلح أن
يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها . .

وقال بعض العلماء : كل ما على الأرض زينة لها من غير تخصيص . وعلى هذا القول فوجه كل
الحيات وغيرها مما يؤدي زينة للأرض . لأنه يدل على وجود خالقه ، واتصافه بصفات الكمال
والجلال ، ووجود ما يحصل به هذا العلم في شيء زينة له . .

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك : أن من أنواع البيان المذكورة فيه أن يذكر
لفظ عام ثم يصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه ، كقوله تعالى : {
ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ} . مع تصريحه بأن البدن داخلة في هذا
العموم بقوله { وَالَّذِينَ جَعَلُوا هَآؤُلَآئِكَ لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ } . .
وإذا علمت ذلك فاعلم أن قوله في هذه الآية الكريمة : { إِنْ زَرَّاهَا جَعَلْنَا مَاءً عَالِيًا
رُضًا زَيْنَةً لِّهَآ } قد صرح في مواضع أخر ببعض الأفراد الداخلة فيه ، كقوله
تعالى : { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زَيْنَةُ الدُّنْيَا } ، وقوله : {
وَالْخَيْلُ وَالْإِبْغَالُ وَالْحَمِيرُ لِيَتَرَكَّبُوهُآ وَزَيْنَةً } ، إلى غير ذلك من
الآيات . .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { مِّنْ جُرُزٍ } أي أرضاً بيضاء لانبات بها . وقد قدمنا معنى
(الصعيد) بشواهد العربية في سورة (المائدة) . .

والجزر : الأرض التي لانبات بها كما قال تعالى : { أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَن زَرَّاهَا نَسُوقُ
الْمِآءِ إِلَى الْوَادِي فَتُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ
أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ } ومنه قول ذي الرمة : أَوَلَمْ
يَرَوْاْ أَن زَرَّاهَا نَسُوقُ الْمِآءِ إِلَى الْوَادِي رُضًا الْجُرُزِ فَتُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا
تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ } ومنه قول ذي الرمة
: % (طوى النحر والأجراز ما في غروضها % وما بقيت إلا الضلوع الجراشع) % .

لأن مراده (بالأجراز) الفيافي التي لا نبات فيها ، والأجراز : جمع جرزة ، والجرزة : جمع
جرز ، فهو جمع الجمع للجرز ، كما قاله الجوهري في صحاحه . .

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية الكريمة { وَإِنْ زَرَّاهَا لَجَعَلْنَاهَا مَاءً عَالِيَةً } {

من هذه الزينة صعيداً أو جرزاً ، أي مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء
معشبة في إزالة بهجته ، وإمالة حسنه ، وإبطال ما به كان زينة من إماتة الحيوان ،
وتجفيف